أيسمع دندنة الرصاص ، وزئير المدافع ، وزفير الجرحى ، وأنين المحتضرين ؟ أم يسمع تصفيق المهللين له بالنصر والمهنئين إياه بعودته سالماً بعد الحرب ؟ هل تمرّ أمام عينيه أشباح الليالي السود التي قضاها بين الفوز والفشل ؟ أم خيالات الليالي البيض التي جاءته ببشرى النصر ؟ هل يرى الألوف التي قادها من الحياة إلى الموت — وأنت واحد منها — أم يرى الألوف التي عاد بها من الموت إلى الحياة وهو واحد منها ؟ أم لا يرى إلاّ أوسمة الشرف على صدره ، ولا يسمع إلاّ رنّة مهمازيه ؟

أم هو يمشي كما يمشي القواد الكبار ، إذا قضت اللياقة العسكرية أن يمشوا إن في جنازة أو في عرس أو في مهرجان ؟

وأولئك الأحبار الكبار الذين يرعون قطيع المسيح ويكرزون بإنجيل المسيح ؛ أولئك الخدام الأمناء الذين قال لهم سيدهم : « أحبوا مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى الذين يسيئون إليكم » فقالوا لك باسم سيّدهم : « ابغض مبغضيك ، والعن لاعنيك ، واذبح الذين يسيئون إليك . » أولئك الأحبار الأتقياء الذين كانوا بالأمس يبتهلون من أجل سلامتك وموت عدوك ، فلمّا متّ شكروا الله لأنّه استجاب طلباتهم . . . أولئك الأحبار الأجلاّء أنفسهم يمشون مع نعشك اليوم وكأنهم قد وجدوا فيك حلقة جديدة تربطهم بعرش الديّان . ألم يطلبوا الفوز لجنود مليكهم المظفر ؟ أولم يسمع الله